الباب الحادي عشر

في الرأي والمشورة

المستشار مؤتمن:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

إنه لا يحط من قدر الرجل استشارته لغيره، وإن كان يحتاج إلى استشارة من هم دونه، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم بمشاورة من هم دونه، والنبي ﷺ، ليس بحاجة إلى رأي الآخرين، فهو على اتصال دائم بالوحي، وآراؤه وأفكاره وأحكامه لا تخرج عن دائرة الوحي، وقد زكا الله نطقه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٣-٤]. ولكن ليكون أسوة لأمته وقدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وليعلمهم الرسول ﷺ، ما في المشاورة من الخير والبركة.

وكان ﷺ، قدوة حسنة في الاستشارة، إذ كان يستشير أصحابه في كل الأحوال، وما تشاور قوم في شيء إلا هداهم الله وأرشدهم لأقوم السبل، وقال ﷺ: «**المستشار مؤتمن**» أخرجه أصحاب السنن.

وقال ابن عيينة: كان رسول الله ﷺ، إذا أراد أمراً شاور فيه الرجال، وكيف يحتاج إلى مشاورة المخلوقين، والخالق هو الذي يدبر أمره، ولكنه تعليم منه لأمته، ويستشير الرجل الناس في أمره، وإن كان عالماً قال ﷺ: «**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد**» أخرجه الطبراني.

وقيل: من شاور أهل النصيحة سلم من الفضيحة، ومن الحكم: المشاورة حصن من الندامة، وأمن من الملامة، ونعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد، وقيل: نصف رأيك مع أخيك فاستشره.

والأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة، وقال أحدهم: الناس ثلاثة، فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فأما الرجل الرجل فهو ذو الرأي والمشورة، وأما الرجل الذي هو نصف الرجل، فالذي له رأي ولا يشاور أحداً، وأما الرجل الذي ليس برجل، هو الذي ليس له رأي ولا يشاور غيره.

ومما قيل في الرأي والمشورة:

وقال أحد الحكماء: أفره الدوابّ لا غنى به عن السوط، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج، وأعقل الناس لا غنى به عن المشورة.

وروي عن الأحنف بن قيس التميمي، أنه قال: اضربوا الرأي بعضه ببعض يتولد منه الصواب، وقيل: خذ الأمر مقيلاً، فشر الرأي الدبريّ، وهو الذي يأتي بعد فوات الحاجة إليه.

ومن أمثالهم في هذا قولهم: لا رأي لمن لا يطاع،وكان يقال: بإجالة الفكرة يُستدر الرأي المصيب، قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره ونطيعه فكأننا ألف حازم.

وكان عامر بن الظرب بن عمرو العدواني حكيم العرب وخطيبهم في الجاهلية، كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وكان العرب لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه إذا حكم في شيء حكماً.

كان يقول: دعوا الرأي يغب (يبيت)، حتى يختمر، وإياكم والرأي الفطير والرأي الفطير يريد الأناة والتثبت فيه، وقال الشاعر:

الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فأضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

ولما همَّت ثقيف بالارتداد عن الإسلام، بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى استشاروا عثمان بن أبي العاصي، وكان مطاعاً فيهم ، فقال: يا قوم لا تكونوا آخر العرب إسلاماً وأولهم ارتداداً، فنفعهم الله تعالى برأيه، قال الشاعر:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا
وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً فإن فساد العزم أن يتقيدا

ولما أصاب زياداً الطاعون في يده أحضر له الأطباء فأشاروا عليه بقطعها، فدعا القاضي شريحاً وقال له: لا صبر لي على شدته، وقد رأيت أن أقطعها إذ أشار إليّ الأطباء بقطعها.

فقال له القاضي شريح : أتستشيرني في ذلك؟. قال زياد: نعم ، فقال شريح: لا تقطعها، فالرزق مقسوم والأجل معلوم، وأنا أكره أن تقدم على ربك مقطوع اليد، فإذا سألك الله تبارك وتعالى لم قطعت يدك؟.

قلت: بغضاً للقائك، وفراراً من قضائك، فمات زياد من يومه، فقال الناس للقاضي شر يح: لم نهيته عن قطعها؟ فقال شريح: استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة لوددت أن أقطع يده يوماً ورجله يوماً.

واستشار زياد بن عبيد الله الحا رثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء فأشار عليه به، فبعث زياد إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء؟ قال: اللّهم لا.

قال زياد: سبحان الله استشرتك فأشرت عليّ به، ثم سمعتك تنهاه قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهد له رأي ونصحته.

عاقبة مخالفة المشورة:

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل قول سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بن الوليد المخزومي بهم. قال: يا بني حنيفة بعداً لكم كما بعدت عاد وثمود، أما والله، لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، وكأني أستمع جرسه وأبصر غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة،فاجتنيتم الندامة، وإني لما رأيتكم تتهمون النصح وتسفهون الحليم، استشعرت منكم اليأس، وخفت عليكم البلاء، والله منعكم التوبة، ولا أخذكم على غرة.

ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ، ووهن الموعوظ، وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق، ومن نصيحتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء، ومن ذلكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود،وما بقي غير مأمون.